

سلام يسوع المسيح لكم ومرحبا بكم في عظة اليوم وهي من إنجيل لوقا، الاصحاح 18
والآيات 9 الى 14. اليكم القراءة باسم ربنا يسوع المسيح. يقول:

وَقَالَ لِقَوْمٍ وَاتِّعِينَ بِأَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ أَبْرَارٌ وَيَحْتَقِرُونَ الْآخِرِينَ هَذَا الْمَثَلُ: إِنْسَانَانِ صَعِدَا إِلَى
الْهَيْكَلِ لِيُصَلِّيَا، وَاحِدٌ فَرِيسِيٌّ وَالْآخَرُ عَشَّارٌ. أَمَّا الْفَرِيسِيُّ فَوَقَفَ يُصَلِّي فِي نَفْسِهِ هَكَذَا:
اللَّهُمَّ أَنَا أَشْكُرُكَ أَنِّي لَسْتُ مِثْلَ بَاقِي النَّاسِ الْخَاطِئِينَ الظَّالِمِينَ الزُّنَاةِ وَلَا مِثْلَ هَذَا
العَشَّارِ. أَصُومُ مَرَّتَيْنِ فِي الْأُسْبُوعِ وَأَعَشِّرُ كُلَّ مَا أَقْتَنِيهِ. وَأَمَّا الْعَشَّارُ فَوَقَفَ مِنْ بَعِيدٍ لَا
يَشَاءُ أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ بَلْ قَرَعَ عَلَى صَدْرِهِ قَائِلًا: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي أَنَا الْخَاطِئُ.
أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ هَذَا نَزَلَ إِلَى بَيْتِهِ مُبَرَّرًا دُونَ ذَلِكَ، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَّضِعُ، وَمَنْ
يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ.

هذا كلام ربنا يسوع المسيح

رجلين صعدوا الى الهيكل ليصلون. واحد فريسي والآخر عشار. الفريسي هو من حزب
الفريسيين الديني متشدد في ناموس موسى وتقاليد الأجداد وكانوا يعتبرون أنفسهم
أفضل الناس في التقوى والعفة. وكانوا يعتبرون العشارون خطاة لانهم كانوا يأخذون
الضرائب من إخوتهم للرومان فكان اليهود يكرهوهم ويعتبروهم مبيوعين للوثنيين فما
كانوا يتعاملوا معهم. لكن الرب يسوع كان يقبلهم ويتعشى معهم وهذا أيضا أثار غضب
الفريسيين والكتبة الذين قالوا مرة: هَذَا يَقْبَلُ خُطَاةً وَيَأْكُلُ مَعَهُمْ. وربنا يسوع ما كانوا
يعمل فرق. وهو جاء لينقذ جميع الناس الضالين.

الفريسي صلي وهو يمدح نفسه ويتكلم لنفسه كما يصلون الدينيون وهم يظنون أنهم أتقياء بصيامهم وصدقهم وأنهم يخلصون واجبههم لله. بخصوص الصلاة يقول يسوع في الإنجيل: وعندما تصلون لا تكونوا مثل المرثيين الذين يحبون أن يصلوا واقفين في المجمع وفي زوايا الشوارع ليأراهم الناس. الحق أقول لكم: إنهم قد نالوا مكافأته. أما أنت فعندما تصلي، فادخل غرفتك وأغلق الباب عليك وصل إلى أبك الذي في الخفاء وأبوك الذي يرى في الخفاء هو يكافئك. وعندما تُصلونَ لا تُكرِّروا الكلامَ باطلاً كالوثنيين، فإنَّهم يظنونُ أنَّه بكثرةِ كلامهم يُستجابُ لهم. فلا تكونوا مثلهم لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه.

وصلى العشار وهو واقف بعيدا ولا يشاء حتى ان يرفع رأسه الى السماء لكن قرع على صدره معترفا بخطاياها وهو يطلب الله أن يرحمه. ويسوع يشيد هذا المتواضع ويعلن أنه نزل الى بيته مبررا. وكان بالتأكيد في فرح شديد وسلام عظيم لان الخاطيء التائب ينال رضى الله ويذوق جوده. وبعد هذا أعطى الرب يسوع مبدءا ثابتا فقال: كُلُّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَضَعُ وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ.

والصلاة هي نعمة من الله الخالق لنا لكي نقرب اليه بخشوع وثقة ونعبر عن آلمنا وحزننا وخوفنا وحتى ضعف إيماننا ونعترف له بآثامنا وخطايانا بالفكر والقول والعمل ونسأل غفرانه ورحمته وأن يوضعنا في طريقه لنعيش في التواضع أمامه وأمام الناس. ونحن نأخذ المثل من داود في مزموره 103: بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ وَكُلُّ مَا فِي بَاطِنِي لِيُبَارِكِ اسْمَهُ الْقُدُّوسَ، بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ وَلَا تَنْسِي كُلَّ حَسَنَاتِهِ، الَّذِي يَغْفِرُ جَمِيعَ ذُنُوبِكَ. نعم. الله يريدُ أَنْ يُصَلِّيَ الرَّجَالُ فِي كُلِّ مَكَانٍ رَافِعِينَ أَيْدِي طَاهِرَةً بِدُونِ غَضَبٍ وَلَا جِدَالٍ.

والانسان يخطئ ويتلذذ بشره وهو لا يعلم أنه يخدم الشيطان عدو الحياة والحق؛ وكل من يخطئ فهو يخطئ ضد نفسه وأهله وأصدقائه ويخطئ لله. والرب يسوع أعطانا مثل الابن الضال الذي خسر خيرات أبيه ووجد نفسه في الوحل فدخل في نفسه وصمم أن يرجع الى أبيه ويقول له: يَا أَبِي أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ. لما الانسان يقرر ان يتوب حقا فقول الله بعم النبي إشعياء هو له ايضا: وَيَكُونُ أَنِّي قَبْلَمَا يَدْعُونَ، أَنَا أُجِيبُ وَفِيمَا هُمْ يَتَكَلَّمُونَ بَعْدُ أَنَا أَسْمَعُ. نعم. الله الذي صنع لنا أذنين فهو يسمع لنا ويستجيب لنا في وقته. في الكتاب المقدس نجد أمثلة المؤمنين الذين رفعوا صلواتهم إلى الله في وسط الصعوبات والتهديدات ومرارة الناس عليهم، وكانوا بشر مثلنا.

هم مثال لنا لان كُلَّ مَا سَبَقَ أَنْ كُتِبَ فَإِنَّمَا كُتِبَ لِتَعْلِيمِنَا حَتَّى يَكُونَ لَنَا الرَّجَاءُ وَالصِّيرُ وَالْعِزَاءُ مِنْ كَلِمَةِ اللَّهِ. ولنا دائما مثل الملك داود الذي يقول في مزموره 51: اِرْحَمْنِي يَا اللَّهُ حَسَبَ رَحْمَتِكَ، حَسَبَ كَثْرَةِ رَأْفَتِكَ امْحُ مَعَاصِيَّ، اغْسِلْنِي كَثِيرًا مِنْ إِثْمِي وَمِنْ خَطِيئِي طَهِّرْنِي، لِأَنِّي عَارِفٌ بِمَعَاصِيٍّ وَخَطِيئِي أَمَامِي دَائِمًا، إِلَيْكَ وَحْدَكَ أَخْطَأْتُ وَالشَّرُّ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ لِكَيْ تَتَبَرَّرَ فِي أَقْوَالِكَ وَتَرْكُو فِي قَضَائِكَ. ويقول أيضا: اللَّهُ لَا يَحْتَقِرُ الْقَلْبَ الْمُنْكَسِرَ وَالْمُنْسَحِقَ. أما المتكبر مثل الفريسي والمتدين فهو لا يعترف بخطاياهم لان يعتبر نفسه مهم في عينه وأفضل من الاخرين. مَنْ يَكْتُمُ خَطَايَاهُ لَا يَنْجَحْ وَمَنْ يَقْرَأُ بِهَا وَيَتْرُكُهَا يُرْحَمُ. طُوبَى لِلْإِنْسَانِ الْمُتَّقِي دَائِمًا، أَمَّا الْمُقْسِي قَلْبَهُ فَيَسْفُطُ فِي الشَّرِّ.

كان القانون اليهودي، ولا شريعة موسى، أمر بصيام إلزامي يوما واحدا في مناسبة معينة في السنة. أما الفريسيون فكانوا يصومون مرتين في الأسبوع، الاثنين والخميس. وكانوا يحبوا يظهروا أنهم صائمون. أما ربنا يسوع فلم يأمر بالصيام لكنه أرشدنا نصوم، ولا يعلم أحد أننا صائمين. يقول ربنا يسوع: وَمَتَى صُمْتُمْ فَلَا تَكُونُوا عَابِسِينَ كَالْمَرَاتِينِ فَإِنَّهُمْ يُغَيِّرُونَ وُجُوهَهُمْ لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ صَائِمِينَ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدْ

اسْتَوْفُوا أَجْرَهُمْ. وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صُمْتَ فَادْهُنْ رَأْسَكَ وَاغْسِلْ وَجْهَكَ لِكَيْ لَا تَظْهَرَ لِلنَّاسِ صَائِماً بَلْ لِأَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. وَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ يُجَازِيكَ عَلَانِيَةً.

كذلك عن الصدقة. كثيرون يصدقون دون مودة ولا محبة ولا شفقة على الفقراء. وربنا يسوع يقول لنا في إنجيله أيضا: وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلَا تُعْرِفْ شِمَالَكَ مَا تَفْعَلُ يَمِينِكَ لِكَيْ تَكُونَ صَدَقَتُكَ فِي الْخَفَاءِ وَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ هُوَ يُجَازِيكَ عَلَانِيَةً. هذا واضح. الله يريد أن نعطي من المال الذي نكسبه من عملنا أو يعطينا لنا كمساعدة. فاعطي منه للكنيسة مثلا كما هو مكتوب: كُلُّ وَاحِدٍ كَمَا يَنْوِي بِقَلْبِهِ، لَيْسَ عَنْ حُزْنٍ أَوْ اضْطِرَارٍ لِأَنَّ الْمُعْطِيَ الْمَسْرُورَ يُحِبُّهُ اللَّهُ. كل ما نفعله يجب أن يكون بالفرح والتواضع؛ وليس كالمرائين الذين يفتخرون بدينهم وعلمهم وصدقتهم. في كل أعمالهم يشعرون بضرورة المقارنة بالآخرين والعلو عليهم.

صلاة الشخص الذي يعيش خارج وصايا الله هي من دافع الافتخار والكرهية. مَنْ يُحَوِّلُ أُذُنَهُ عَنْ سَمَاعِ الشَّرِيعَةِ فَصَلَاتُهُ أَيْضاً مَكْرَهَةٌ. والرسول بولس يعلمنا في أحد رسائله ويقول: امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ وَتَمَسَّكُوا بِالْحَسَنِ. هذا السلوك الحسن هو من تواضع الانسان. كما قال أحدهم، التواضع ضروري لأن باب السماء هو منخفض جدا بحيث لا يستطيع الدخول إلى السماء إلا منحنيا. لا اسم آخر في السماء وعلى الأرض يمكن أن يحررنا ويدخلنا معه الى السماء إلا الرب يسوع. ونشكر الله الذي عرفنا ابنه الحبيب الذي يؤكد لنا أن كل ما نطلبه لحياتنا لمجد اسمه فينا فهو يفعله ويعطينه لنا.

ما يريد الله أن يراه فينا ليس عدد الصلوات اليومية وعدد أيام الصيام، لكن صدق القلب التائب المنكسر المنفصل عن الله القدوس. الله يريد أن يرى التواضع النابع من الإيمان والسماع لابنه يسوع المسيح الحي والطاعة بمحبة لكلمته. السؤال ليس هل أنا أفضل من الآخرين؟ إنما هل أنا متواضع أمام الله والناس كما يريده الله؟ الله يريد أن نمتحن

أنفسنا لنرى هل نحن في الإيمان الصحيح. لهذا يقول: اختبروا أنفسكم. أستم تعرفون أنفسكم، أن يسوع المسيح فيكم، إلا إذا تبين أنكم فاشلون؟ عندما نضع حياتنا أمام يسوع نفهم بالتأكيد أن يسوع هو الطريق الوحيد الذي يظهر ويحرر ويخلص للحياة الأبدية. وعندئذ فقط لما نفهم هذه الحقيقة نقول مثل التلميذ والرسول بطرس: اخْرُجْ مِنْ سَفِينَتِي يَا رَبُّ لِأَنِّي رَجُلٌ خَاطِئٌ. ومثل قائِدُ الْمِئَةِ الذي أرسل أصدقائه الى يسوع يَقُولُ لَهُ: يَا سَيِّدُ لَا تَتَّعِبْ. لِأَنِّي لَسْتُ مُسْتَحِقًّا أَنْ تَدْخُلَ تَحْتَ سَقْفِي لِذَلِكَ لَمْ أَحْسِبْ نَفْسِي أَهْلًا أَنْ آتِيَ إِلَيْكَ، لَكِنْ قُلْ كَلِمَةً فَيَبْرَأَ غُلَامِي. ومثل هذا العشار الذي وَقَفَ مِنْ بَعِيدٍ لَا يَشَاءُ أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ بَلْ قَرَعَ عَلَى صَدْرِهِ قَائِلًا: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي أَنَا الْخَاطِئُ. نعم. آمين.

ونحن نقول أيضا: الله هو سَامِعَ الصَّلَاةِ إِلَيْهِ يَأْتِي كُلُّ بَشَرٍ. أَنْتَ إِلَهُ خَلَاصِي. إِيَّاكَ انْتَظَرْتُ الْيَوْمَ كُلَّهُ. لَا تَذْكَرْ خَطَايَا صِبَايَ وَلَا مَعَاصِيِي. كَرَحْمَتِكَ اذْكَرْنِي أَنْتَ مِنْ أَجْلِ جُودِكَ يَا رَبُّ. آمين. وَإِلَهُ السَّلَامِ نَفْسُهُ يُقَدِّسُكُمْ بِالتَّمَامِ. وَتُحْفَظُ رُوحَكُمْ وَنَفْسُكُمْ وَجَسَدُكُمْ كَامِلَةً بِلاَ لَوْمٍ عِنْدَ مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ. آمِينَ هُوَ الَّذِي يَدْعُوكُمْ الَّذِي سَيَفْعَلُ أَيْضًا. أَيُّهَا الْإِخْوَةُ صَلُّوا لِأَجْلِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا. آمين.